جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة : الثالثة

المادة: تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر

عنوان المحاضرة : الاحتلال والهيمنة البريطانيتين على مصر والسودان

العام الدراسي : ٢٠٢٥ / ٢٠٢٦م

سنة النشر : ٢٠٢٦م

أسم التدريسي : أ.م.د. رؤى جمال خضر

الإيميل الجامعي للتدريسي : ruaa.j.k@tu.edu.iq

أشرنا فيما سبق الى الاحتلال الفرنسي لمصر وقد اصبحت بريطانيا منذ جلاء الفرنسيين سنة ١٨٠١ تخطط لاحتلال مصر فسعت أولاً . من خلال معاهدة لندن ١٨٤٠ ان تقلص من نفوذ محمد علي باشا والي مصر وتمنعه من تنفيذ مشروعه في ضم السودان والشام والعراق والجزيرة العربية واقطار الخليج العربي واقطار المغرب العربي وتكوين دولة عربية موحدة . وسرعان ما شعرت باهمية مصر بعد فتح قناة السويس سنـــــــة ١٨٦٩ تلك القناة التي اخذت اهمية كبيرة للتجارة البريطانية . وباقتتاح القناة دخلت القضية المصرية مرحلة جديدة . اذ صار ينظر اليها كأنها هي قضية قناة السويس وهيأ حاكـــــــــم مصر الخديوي اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) للبريطانيين الفرصة للتدخل فـــــــــي شؤون مصر بل لاحتلالها فقد كان مسرفاً ستدان مبالغ طائلة من المصارف الانكليزية والفرنسية وكان هدفه جعل مصر قطعة من اوربا ، كما كان يقول الامر الذي دفع الانكليز والفرنسيين كذلك للتدخل في شؤون مصر بحجه حماية مصالحها الاقتصادية . وقد وجدت بريطانيا في اضطرار الخديوي اسماعيل لبيع حصة الحكومة المصرية في القناة والبالغة (١٧٧) الف سهم او ٤٤ ٪ من مجموع رأسمال الشركة لكي تهيمن على انتصار مصر . فاتخذت تدابير سريعة لشراء أسهم مصر بثمن بخس لم يكن يزد عن (٤) ملايين استرليني في حين كلف مشروع القنال مصر (١٦) مليون باون وعرفها بدين مقداره مائة مليون باون . وهكذا اصبح في حوزة الحكومة البريطانية (١٧٧) الف سهم من اسهم شركـــــــــــة القناة . وحين توقف الخديوي اسماعيل في ٨ نيسان ١٨٧٦ عن دفع سنداته المالية للمصارف البريطانية والفرنسية فرضت

على مصر رقابة مالية ثم تدخل الانكليز لعزلـــــــــــه والاتيان بابنه الخديوي توفيق (١٨٧٩ – ١٨٩٢) والذي كان اكثر استجابه للمطالب الاجنبية .

لقد كان من نتيجة التغلغل الاجنبي ، وسوء الاوضاع الاقتصادية والسخط الشعبي من جراء الضرائب الفادحة وتدخل الاجانب في شؤون مصر وازدياد الوعي السياسي ان لجأ العسكريون القوميون الى القيام بثورة مسلحة في ١٨ شباط ١٨٧٩ بقيـــــــادة الاميرالاي احمد عرابي باشا (١٨٣٩ – ١٩١١) ولكن بريطانيا تدخلت الى جانب الخديوي توفيق . اذ قصفت السفن البريطانية ميناء الاسكندرية في ١١ تموز ١٨٨٢ وزحفت القوات البريطانية باتجاه القاهرة ودارت معركة دامية سميت بمعركة التل الكبير ١٣ ايلول ١٨٨٢ استسلم على اثرها عرابي وحوكم هو وصحبه وحكم عليه بالاعدام ثم ابدل الحكم بالنفي المؤبد من مصر . وقد تفانى المصريون في الدفاع عن ثورتهم حتـــــى تحولت بعض مدنهم كالاسكندرية بفعل القصف المدفعي البريطاني الى كومـــــــــة من الانقاض .

لقد ادعت بريطانيا منذ اليوم الاول لدخول قواتها مصر بأن احتلالها سيكون مؤقتا وانها لم تتدخل الا « لصيانة ارواح واموال رعاياها ، والدول الاوربية الاخرى ولتوطيد الامن والنظام وتلك حجة كل مستعمر غاضب » لكنها بقيت ، حتى الحرب العالمية الاولى حين اعلنت في ١٨ كانون الاول ١٩١٤ الحماية رسمياً على مصـــــــــر .

بالرغم من تشتت الوطنيين وتنكيل المحاكم بقادة الثورة العرابية وانصارها ، فـــــان مصر لم تخل من وجود نشاط وطني . فخلال السنوات الاولى من الاحتلال تم اكتشاف جمعية اطلقت على نفسها اسم جمعية الانتقام وغرضها طرد الانكليز من البلاد ومعاقبة اعوان الاحتلال . كما لجا الوطنيون الى الصحف لاعلان سخطهم على الاحتلال . وكان من ابرز الذين عملوا من اجل القضية الوطنية في

السنوات اللاحقة للاحتلال وحتى نشوب الحرب العالمية الاولى : مصطفى كامل وهو كاتب ومثقف ومحام مصري الف في سنة ١٨٩١ حلقة من الشباب المصري التفت حول جريدة (اللواء) التي اصدرها في سنة ١٩٠٠ واهتمت بفضح سياسة الانكليز في مصر . وقد اقتصر نشاط مصطفى كامل حتى سنة ١٩٠٥ على التثقيف الوطني . وبعد مجزرة دنشواي ١٩٠٦ (قرية قرب مدينة طنطا) التي فتح فيها الضباط الانكليز النار على الفلاحين بحجة اعتدائهم على ضابط انكليزي أثلف ، هو واصحابه مزروعاتهم . غدا مصطفى كامل زعيما وطنيا لمصر . اذ الف حزبا سماه الحزب الوطني وذلك في تشرين الاول ١٩٠٧ . وكان من اهداف هذا الحزب الدعوة الى المطالبة بجلاء الانكليز عن مصر وتحقيق وحدة وادي النيل (مصر والسودان) . وكان على المصريين ان ينتظروا انتهاء الحرب العالمية الاولى ليبدأوا مرحلة جديدة من نضالهم من اجل التحرر والاستقلال والتخلص من الاحتلال البريطاني ، قادها حزب الوفد وزعيمه سعد زغلول وفي السودان . شجع نشوب الثورة العرابية في مصر سنة ١٨٨١ ، وانتشار الوعـــــي القومي ، السودانيين على ان يفعلوا فعل اخوانهم المصريين فيثوروا صيف سنة ١٨٨١ بقيادة محمد احمد بن عبد الله المهدي ضد استبداد الخديوي وحكومته . وكما هو معروف ان السودان دخل في حوزة الحكم المصري في عهد محمد علي باشا بين سنتي (١٨٢٠ – ١٨٢٢) وان المصريين حققوا في السودان امرين مهمين : اولهما تحديثه . وثانيهما توطيد الوحدة الوطنية فيه . الا ان اوضاع مصر السياسية والاقتصادية المتدهورة وخاصة في عهد الخديوي اسماعيل والخديوي توفيق ، سرعان ماانعكست على السودان حيث اشتدت الضائقة الاقتصادية وعم الفساد الاداري فيه . ومما زاد في ذلك استعانة الخديوي بعدد من المغامرين الاوربيين الذين اندفعوا الى السودان لتحقيق اهداف دولهم الاستعمارية ومن هؤلاء السير صموئيل بيكر Baker والذي

عهد اليه الخديوي اسماعيل سنة ١٨٦٩ بادارة مديرية خط الاستواء وتولى بعده الجنرال كوردن Gordon منذ سنة ١٨٧٤ مهمة توطيد السيطرة المصرية وتوسيعها وهو في الواقع يوطد سيادة بلاده ونفوذها .

ثم جاءت حملة عسكرية بريطانية تمكن الثوار السودانيون من ابادتها . وفي ١٨ شباط ١٨٨٣ حرر المهديون (الابيض) عاصمة كردفان . واتسع نطاق ثورتهم في مناطق السودان الاخرى ، حتى انهم اعلنوا تأسيس الدولة المهدية في السودان . ويبدو أن الانكليز تباطأوا في توجيه القوات العسكرية للقضاء على الثورة في السودان ، وذلك لكي يشعروا المصريين بعجزهم عن اخماد الثورة وعندئذ يتسنى لهم تنفيذ سياستهم القائمة على الانفراد بالسودان وفصله عن مصر . ولقد تحقق لهم ماارادوا اذ أتمت القوات البريطانية عمليـــــــة اسقاط الدولة المهدية في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ واقامت نظام حكم جديد للسودان باسم (كوندمنيوم Condimininm) أي نظام الحكم الثنائي ومنذ ١٨٩٩ عرف السودان رسمياً بالسودان الانكليزي – المصري .

لقد ابدى السودانيون سخطهم على الاوضاع التي جاءت بها اتفاقية سنة ١٨٩٩ واعترضوا على اساليب الانكليز الادارية وخاصة في توزيع السكان حسب قبائلهم فـــــــي المستندات الرسمية وتقريب بعض رؤساء القبائل بدعوى الادارة اللامركزية ، ولم يروا في تلك الاساليب سوى خطوة الهدف منها اثارة النعرة القبلية وتجاهل الرابطة القوميـــــة للسودانيين مع اخوانهم في مصر . وفي الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى شكـــــــل الانكليز مجلس الحاكم العام ، لادارة البلاد . ويتألف من السكرتير الاداري والقضائي والمالي والمفتش العام وعدد من رؤساء الدوائر ومنها المصارف والري والزراعة .

اما الاراضي العربية المطلة على البحر الاحمر من جهة الغرب ، اي الصومال وارتيريا فقد تعرضت للغزو الاستعماري الاوربي منذ بدء حركة الاستكشافات الجغرافية . فكان الصراع قويا بين العثمانيين المسيطرين على مصر والسودان في الساحل الغربي للبحر الاحمر وعلى الساحل الشرقي للبحر نفسه والبرتغاليين ومن تلاهم من الايطاليين . غير ان هـــــذه المنطقة تم اقتسامها في اواخر القرن التاسع عشر بين فرنسا وايطاليا وبريطانيا واثيوبيا وأقر هذا التقسيم في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ .

بدأ التغلغل الايطالي في ساحل البحر الاحمر والسودان الشرقي منذ سنة ١٨٦٩ . وفي سنة ١٨٨١ عينت ايطاليا مقيماً لها في منطقة عصب عند مضيق باب المندب . وبعد اربع سنوات ارسلت الحكومة الايطالية قوات عسكرية لاحتلال عصب . وقد راقب المستعمرون الايطاليون عن كثب استفحال الثورة المهدية . ففي اول كانون الثاني سنة ١٨٨٩ صـــــدر مرسوم ملكي في ايطاليا بانشاء مستعمرة ارتيريا . وبعد هزيمة المهديين احتل الايطاليون مدينتي اغوردات وكسلا . وقد سعى الايطاليون لتثبيت نفوذهم في ارتيريا بعقد بضع اتفاقات مع بريطانيا وحكومتي السودان واثيوبيا تتعلق بحدود المستعمرة .

اما فرنسا فقد احتلت جيبوتي ، وكان لايطاليا موضع قدم كذلك في الساحل الصومالي وقد احتلت بريطانيا بقية اراضي الصومال وعلى هذا النحو اقتسمت الدول الاستعمارية الصومال فيما بينها فظهر ماسمي فيما بعد بالصومال الايطالي ، والصومال البريطاني والصومال الفرنسي . كما احتلت اثيوبيا الصومال الغربي المعروف بمنطقـــــة اوغادين .